أتاء أم هاء ؟

او

علامة التأنيث في اللغات الساميّة

بقلم حضرة الاب ا.س. مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

دونك ايها القارئ اللبيب مثالاً حسيًا يريك فضل « الأَلْسُنيَّة » او المقابلة الالسنيَّة (Philologie comparée) مطبّقة مبادئها على نقطة مهمة في اللغات الساميّة ، ومفيدة لدراسة النطق البشري او « النُّطْقيَّة » (Linguistique ou science du langage) ألا وهي مسألة علامة التأنيث.

في اصل علامة التأنيث آراء متضاربة ، لا بل متنازعة. منها القول الآتي : « ان حروف التأنيث الموجودة في اللغة العربيَّة هي أثر كلمة كانت تقوم مقامها ، ثم استغني عنها استغناء من يكتفي بالاثر عن الاصل. وهذه الحروف مقطوعة عن كلمة واحدة هي « أُنثَى ». فقولك « اديبة » اصلها : « اديب انثى » فاستغنوا بالتاء او بالهاء عن بقيَّة اللفظ. وقولنا « صفراء » معناه : « اصفر انثى » قالوا في اول الامر « أَصْفَراء » ثم كرهوا ان تكون همزتان في اللفظة الواحدة ؛ فحذفوا الاولى ، وابقوا الثانية التي في الآخر لتقابل الهاء او التاء في سائر الالفاظ. وكذا القول في « الكبرى » فان اصلها : « الاكبرا » فتصرفوا فيها تصرفهم في الصفراء » انتهى.

وهناك قول آخر ، هذا ملخصهُ : « هاء التأنيث والوحدة محوّلة في الاصل عن ضمير الغائب المفرد مذكرًا ومؤنثاً ... والبحث الفلولوجي يُستدلّ منه دلالة واضحة قطعية على انها ضمير الغائبة ، اذا كانت لتأنيث الصفة ؛ وهاء ضمير الغائب او الغائبة ، اذا كانت للوحدة . بيان ذلك : أُلحق بزمن ضمير

النائبة « هي » فيصير المركب « مؤمنهي » او مومنهي » ومع الايام ، وبدافع الطبع ، للاختصار ، وحسن اللفظ مع السهولة المتوخاة في اللغة ، يتحول المركب على الالسنة الى « مؤمنتا » او مؤمني » او الى ما تولده الامالة من التوسط بين اخلاص الفتح ، واخلاص الكسر . قس على « مؤمنهي » ، « حمام هي » او « حمام هو » ... ولا يخفى ان ياء « رومي ، زنجي ، عربي » وامثالها هي وهاء الوحدة شيء واحد ايضاً ... وهاء التأنيث هذه هي اذن هاء الغيبة . وتسهيلاً للفظ ، ومنعاً من اللبس ، تقلب تاء اذا اضيفت او تحركت في الدرج . وهي ليست ، كما يظن البعض ، تاء هجاء اجتلبت للتأنيث اعتباطاً ، ثم هي تقلب هاء عند الوقف . » انتهى

وانت ترى ان اصحاب كلٍّ من هذين الرأيين في واد عميق . واما اقطاب « الألسُنيين : Les philologues comparatistes » و « واللُّغويين : Les linguistes » فرأيهم ان امثال هذه النظريات — مع ما يظهر عليها من مسحة الاحتمال — لوعرة المسلك ، لا تتعدّى حيّز التكهُّن .

على انك ، فضلاً عن هذا ، قد لحظت ان هذين القولين ، وان اختلفا في اصل علامة التأنيث ، الّا انهما متفقان او يكادان يتفقان في ماهيتها . اذ ان الثاني لا يسميها الّا « هاء التأنيث » والاول يدعوها « تاء او هاء التأنيث » واما نحن فنقصد ان نحصر البحث في طور نجد فيه الفاظاً آثارًا شاهدة ، نستخلص منها براهين غير قائمة على حرف هاء ، نجعل محور المقال يدور ، لا على اصل علامة التأنيث ، بل على حقيقتها وماهيتها ، لا في اللغة العربية وحسب ، بل في جميع الالسنة السامية . ولتسهيل العمل ، نرى من اللازم ان نتقصى اثر هذه العلامة في لسان من ألسن بني سام ، وعند ذلك يتبين ما يمكننا بسطه من الادلة المثبتة ارجحية التاء ام الهاء .

هذا وغير خافٍ على من له المام « بالألسُنية السامية » ان اشهر واهم لغات هذه الطائفة هي العربية ، والعبرية ، والارمية ، والحبشية ، والاكدية . الّا اننا عند البحث ، ناخذ بطرق باب اعرقها قدماً ، لا من حيث الاصول اللغوية ، بل من جهة الآثار الادبية ، اذ لا مشاحة في ان للأكدية حق التقدم ، في ذا

الشأن ، على اخواتها ؛ تليها العبرية ، فالارمية ، فالحبشية ، فالعربية ، التي يظهر انها ، من حيث التمسك بالقديم ، اولاهنّ وشبهنّ بالاصل(١) .

* * *

علامة التأنيث في الاكدية

في الاكدية شأنان : مذكر ومؤنث . واما الجامدات ، والاسماء المعنوية ، فيُستعمل لها المؤنث ؛ وعلامته هي «أُتو ، وأُوتو» مثلًا : «كِيرِتو» = الكلية . «شَرُوتو» = الملك . واذا دخلت هذه العلامة على الاسم او الصفة ، تسقط حركة الحرف الثاني مثلًا : «كَلَابُو» = كلب . «كَلَبْتُو» = كلبة . او ان حركتها تضمحل ، فتصبح هي «تو» اذا بقيت حركة الحرف الثاني . مثلًا : «رَبْشُو» = واسع ، «رَبْشُتو» = واسعة . «شَبْلُو» = سافل ، «شَبْلِيتُو» = سافلة . «مَخْرُو» = مقابل ، «مَخْرِيتُو» = مقابلة .

وعلامة التأنيث في الجمع هي التاء ايضاً ، كما في المفرد . والمفردات المنتهية بـ «أُتو ، وإيتو» تجمع بـ «آتي وآتي ، âté et âti» نحو «كَلْبُتو» تجمع «كَلْبَاتي Kalbâté» ، «رَبْشُتو» تجمع «رَبْشَاتي Rapšâté» ، شَبْلِيتُو «شَبْلَاتي Šaplâté» .

---

(١) ليشقّ على حبّنا لاوطاننا العزيزة ان نرى بعض الادباء — وحاشانا من التعميم ؛ فان هناك علماء اجلاء ، يتشرّفون بالعلم ، ويشرّفونه ؛ وهم حجة بسعة معارفهم ، وقدوة برفيع شمائلهم — اجل ! ليشقّ علينا ان نجد بعض حملة الاقلام ، المتصرفين للآداب العربية ، يحطون من قدر علمهم ومقامهم ، بخلّة شائنة لسمتهم ، الا وهي عدم مراعاتهم « للآداب الاجتماعية . » فانك ، ان دافعت عن رأيك ، خلافاً لرأيهم ، وجادلتهم جدالًا علمياً ، مطابقاً لاصول المناظرة ومشيماً بروح النجدة والمجاملة ؛ فلا تشاهدهم يتفوّن تجاهك ، مقابلين لعنانك بلعنات ، وادلتك بادلّة ؛ بل يجاجونك من الوراء ، شأن الجبناء ، ويطعنونك شأن ضعفاء الحجة ، بسلاح «الشتيمة» والاهانة . » ولذا ، فصيانةً لشرف العلم ، من الاستهتار ، في ذا الميدان ، الذي نجلّ قدسنا عن مجاراة قلمهم فيه ، نرانا مع احترامنا لذوي الاقدار ، وافقونا في الرأي ام خالفونا ، نعدل عن طريقة الجدل المألوفة ، ونجتزئ عند البحث ، اثباتاً لقضيّة ، او دفاعاً عن نظرية ، بنقط البراهين ، متحاشين عن ذكر الاشخاص ؛ اللهم الّا من توسّم فيهم ، لدى المجادلة ، سلامة الذوق ، ورحابة الصدر ، وكرامة الشيم ، مقرونة بغزارة المادّة العلمية .

علامة التأنيث في العبرية

ليس في العبرية ، كما في اخواتها السامية ، الا شقّان : المذكّر ، والمؤنّث . وللجامدات ، والاسماء المعنوية يُستعمل إما المذكر واما المؤنث . والشقّ المؤنث ، في العبرية الحالية ، علامتان ، هما اكثر شيوعاً من غيرهما : اي التاء والهاء ، في الاسماء والصفات . نحو «طوبا» من «طوب» ومعناها صالحة ، من صُلُح . «عَلَمَه من عَلِيم ʿêlêm» = غلام

الّا ان اهم هاتين العلامتين ، والعارقة في القدم ، لا بل الوحيدة في سالف الادهار ، هي «التاء» ودونك طريقة استعمالها ، في يومنا هذا :

١ً تثبت في كثير من الاسماء المنتهية بحركة ، نحو «يهودي، يهوديت» اي يهوديّ ، يهودية

٢ً في عدد وافر من الاسماء المنتهية بحرف صائت (voyelle) . واذ ذاك يلين اللفظ بادخال حركة بين الحرف الاخير ، وعلامة التأنيث ، وهي الفتحة اذا كان الحرف حلقيًّا ، والربصة او الإمالة ، اذا كان غيره . نحو «روحَيم ، Rôḥêm ، روحَمت Rôḥmat» اي مُحِبّ ، مُحبّة . «قوطَل ، Qôṭel ، قوطَلت Qôṭêlet» = قاتِل ، قاتلة

٣ً في الغالب ، تسبق هذه التاء فتحة تجلب النبرة اليها . وتجد هذه التاء في بعض اسماء الجنس . نحو : «بَرَقَت» = زمرّد . وكثيرًا ما تشبع الفتحة السابقة لهذه التاء . نحو : «مخارُوت ، Maḥarôt» = صباح .

٤ً بيد ان هذه التاء تظهر ، اجلى ظهور ، في الاضافة ، اعني حين اتصالها بالاسم التابع ، نحو : «مَلْكه = مَلِكَة» . «مَلَكتْ شبا = ملكة سبا»

٥ً اما الاسماء المطلقة فقد تضاءل فيها ظهور هذه التاء ، رويدًا رويدًا ، الى ان اضمحلت . وبقيت طويلة الفتحة السابقة لها ، واضحت مفتوحة المقطع ؛ ودلالةً على هذا الفتح المشبع ، استعملت لها « الهاء » كعلامة كتابية

* * *

علامة التأنيث في الارمية او السريانية

في الارمية مذكر ومؤنث ؛ ويستخدم كل منهما ايضاً للجامدات ، والمعنويات . ومن الاسماء ما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ومنها ما هو مؤنث دون علامة ، في المفرد ، والجمع

اما علامة التأنيث فهي، على وجه الاطلاق ، «التاء» الزائدة. نحو «مَلكا، مَلكتَا» اي ملك ، ملكة. «كَلبَا ، كَلبَتَا ، كَلبَاتَا» =كلب ، كلبة ، كلبات. وتبقى تاء التأنيث ، في الاسم المطلق ، نحو «مَلكتَا» ؛ وفي جزم الاضافة ، مثلاً: «شَاعَتْ مَوتَا» = ساعة الموت. واما جزم التنكير ، فتُحذف فيه التاء ، وتبقى الالف. نحو «مِلتَا ، مِلَا» = كلمة ؛ «شَعتَا ، شَاعَا» = ساعة

* * *

علامة التأنيث في الحبشية

في هذه اللغة ثلاثة اجناس : المذكر ، والمؤنث ، والمشترك . ويعرف الجنس عادةً من معنى اللفظة . وعلامة التأنيث هي «التاء» الساكنة ، يتبعها فتحة قصيرة ؛ الا ان استعمالها ليس بثابت ؛ وثمة شذوذ كثيرة. وكذا الشان في الصفات ، فان علامة تأنيثها «التاء» في جميع الصيغ او تكاد . وهاك بعض الامثلة على ذلك :

	مذكّر	مؤنّث
صفة :	شَنَاي (Šanây) = جميل ، سني	شَنَاوَتْ (Šanâwêt) = سنية
اسم فاعل :	نَگَاشي (Nagâšê) = مالك	نَگَاشيتْ (Nagâšêt) = مالكة
اسم مفعول:	گَبُري (Gebûrê) = مصنوع	گَبَرَيتْ (Gebêrêt) = مصنوعة

* * *

علامة التأنيث في العربية

في العربية شأن: المذكر والمؤنث ؛ واما الاسماء الجامدة ، والمعنوية، فتلحق بالمذكر ، او بالمؤنث سماعاً : وفيها المؤنث بالمعنى ، والمؤنث باللفظ . وعلامة التأنيث المستعملة اكثر من غيرها هي «التاء» ، ويلحقوا الالف الممدودة ،

والالف المقصورة ؛ وهما قليلتا الورود . ودونك مـا جاء في كتاب ابن عقيل لالفية ابن مالك ، في ذا الشأن ، لتقف على حقيقة الأمر :

« علامةُ التـأنيث تاء او ألفْ ، وفي اسامٍ قدّروا التا ، كالكتف »

«اصل الاسم ان يكون مذكرًا ، والتأنيث فرع عن التذكير . ولكون التذكير هو الاصل ، استغنى الاسم المذكر عن علامة تدلّ على التذكير . ولكون التأنيث فرعاً عن التذكير ، افتقر الى علامة تدلّ عليه ، وهي «التاء» والالف المقصورة او الممدودة . «والتاء» اكثر استعمالًا من الالف ؛ ولذلك قُدّرت في بعض الاسماء ، كعين ، وكتف . ويستدل على تأنيثها بالضمير العائد اليها ؛ نحو الكتف نهشتُها ، والعين كحلتُها . »

« في الوقف تا تأنيثِ الاسم ما جُعلْ ان لم يكن ساكنِ مَحٍّ وُصِلْ »

« اذا وقف على ما فيه تاء التأنيث ؛ فان كان فعلًا ، وقف عليه بالتاء ؛ نحو هند قامتْ ؛ وان كان اسماً ، فان كان مفردًا ، فلا يخلو إما ان يكون ما قبلها ساكناً صحيحاً ، او لا ؛ فان كان ما قبلها ساكناً صحيحاً ، وقف عليها بالتاء ؛ نحو بنتْ ، واختْ ؛ واذا كان غير ذلك ، وقف عليها بالهاء ، نحو فاطمه . وان كان جمعاً او شبهه وُقف عليه بالتاء نحو هنداتْ ، وهيهاتْ . وقل الوقف على المفرد بالتاء ؛ نحو : فاطمت ، وعلى جمع التصحيح وشبهه بالهاء ؛ نحو : هنداه وهيهاه . » انتهى

وقال سيبويه : « تاء التأنيث تدخل على المصادر المجرّدة وذوات الزوائد ، دخولًا مطردًا ؛ فهي تدلّ على المرة ، كضربة ، واجتماعة . واذا لحقت تاء التأنيث آخر الفعل ، كتبت بصورتها ، كضربتْ ، ويقال لها المبسوطة . واذا لحقت آخر الاسم ، فان كان مفردًا ، كتبت هاء منقوطة ، كضاربة ؛ ويقال لها المربوطة . وان كان جمعاً ، فان كان سالماً ، كتبت مبسوطة ، كضاربات ؛ وان كان مكسورًا ، كتبت مربوطة ، كقضاة . » انتهى

* * *

تحقيقات السنة

بعد ان استمددنا من المصادر النحوية ، لجميع اللغات السامية ، ما بـه تمكنا من استطلاع كنه البحث ، يجدر بنـا الآن ان نلخص بقولنا ان علامة التأنيث في هذه اللغات هي «التاء» وان كان في بعضها ، مع هذه التاء ، غير علامة . على ان التاء هي الوحيدة في الحبشية ، والاكدية ، دون غيرهـا من العلامات . ونحن اذا توغلنا في الفحص والاستقصاء ، رأينا ان العلامة الاصلية هي «التاء» حتى في الالسنة التي فيها غير التاء من العلامات . واثبت برهان لذلك نستخرجه من الاكدية العريقة آثارها الادبية ، والتي نجد في طريقـة كتابتها المسمارية المقطعية ، افضل وسيلة للوقوف على حالة اللغة في الازمان القاصيـة عنا قروناً تُعدّ بالعشرات . وزيادة في الايضاح نعلمك ان الاكدية ، كالعربية الفصحى ، لغة معربة . وغير خاف عليك ان الاعراب او تحريك الحرف الاخير من الكلمة يلحق اواخر الاسماء والصفات ، الا اذا كانت مضافة . هذا في اللسان الاكدي ، خلافاً للعربي القرشي ؛ فـان الاعراب يثبت فيه حتى اذا كان الاسم او الصفة مضافة . وحركات الاعراب ثلاث ، وهي الحركات السامية الاصلية ، اي الضم ، والفتح ، والكسر . فالضم يدلّ على الرفع ، والفتح على النصب ، والكسر على الخفض . وهذا الاعراب جارٍ في الكتابـة العربية على طريقتين : اعراب بالحروف ، وهو قليل ؛ واعراب بالحركات ، اي بالعلامات غير الداخلة في مادّة الكلمة ، وهو كثير ؛ وله قواعد مطردة ، لا تحتـمل الّا ما ندر من الشذوذ . اما في اللغة الاكدية ، فهو مَقطَعي ، طبقاً لطبيعة الخط المسماري القائم على العلامات المتكوّن من كل منها مقطـع . فالحركة الاعرابية متضمّنة في المقطع الاخير من اللفظة ، المؤلفة من حرف وحركة ، او من حرف محرّك وحرف ساكن . وللكتابة المسمارية وآثارها ، في هذا الصدد ، فضل عظيم على بقية الكتابات والآثار السامية الابجدية ، الخالية من الحركات ، اللهمّ الّا الحبشية — ويكاد يُطلق ذلك على المندائية — القائمة على «ابجدية مقطعية» اي ان كل حرف من حروف هجائها متصلة به حركة من الحركات السبع المستعملة

في هذه اللغة . على ان الكتابة الحبشية ، مع ما فيها من هذه المحسنات ، الحديثة العهد ، وان هي الا وليدة الخط السبئي ، وليست بخط وقتي (écriture épigraphique)

هذا وعلى حين نرى الإعرابَ في العربية ، سواء كان بالحروف ام بالحركات مطرد القواعد ، منتظم الاصول ، مقبولا نظرياً ، معمولا به فعلا ، تعتبر مخالفته غلطاً فاحشاً ، في الكلام والكتابة ؛ نجد ، بعكس ذلك ، الإعراب في الاكدية — مهما عرقت في القدم آثارها ، حتى اذا صعدنا عدة الاف من السنين — فاننا نشاهده مضطرباً ، مختلفاً ، يكاد يخلو من ضابط . وبفعل هذا الاختلال نرى الفتح مستعملا بدل الضم ، والكسر عوض الفتح . الا انه مهما يكن من هذا الاضطراب ، اضطراب احوال الإعراب ، في مختلف عصور اللغة الاكدية ، فاننا نلاحظ امراً وهو ان الاعراب يبطل في حالة الاضافة ، فيُفقد الكلمة حركتها النهائية . مثال ذلك الالفاظ الآتية اعراباً ، واضافةً : «أبيلُو» = ابن ؛ «شَرُّو» = ملك ؛ «مَاتُو» = بلد ؛ هذا لفظها اعراباً ، فتضحي عند الاضافة ، بفعل حذف علامة الرفع منها ، وهي «ُو» وسكان الحرف الاخير ، «أبيلْ شَرْ مَاتْ شور» . ومعربا : ابنُ ملكِ بلدِ أشور

على ان النقطة الجوهرية المهمة في بحثنا هي ان الكلمة المنتهية بالتاء ، تاء التأنيث ، اذا فقدت حركتها الاخيرة ، بموجب قاعدة الاضافة ، فانها تبقى ساكنة ، ولا تحذف ، او تتحول الى غير حرف . مثال ذلك : «شَرُّوتُو» = مُلك او مملكة ؛ فاذا اضفتها الى بلد أشور ، قلت : «شَرُّوتْ مَاتْ أشور» اعني : مملكةُ بلد اشور . «ايكَلُّو شُوبَتْ شَرُّوتيشو . Ekallu Šûbat Šarrutišu) = القصرُ مَقرُ مُلكه» . ومن هذا كله يظهر ، ظهور الشمس في رائعة النهار ، ان «التاء» هي ، دون غيرها ، علامة التأنيث ، في اللغة الاكدية ، اعني منذ نحو ستة الاف سنة ، وهو اقدم اعصر التاريخ القديم

على اننا نرى في العبرية ، والارمية ، والعربية ، بجانب «التاء» الكثيرة الاستعمال ، علامات اخرى للتأنيث ، وهي الهاء ، والالف الممدودة ، والالف المقصورة . فما داعي ذلك ؟ قبل الجواب عليه ، نسرد لك كلمة في خصوص

مادة لغوية ، وهي ما يدعى « بالحركات المشبعة » ، او « علامات الكتابة » ، او ، كما يقول البريّون ، « امهات القراءة »

فاعلم ، حرسك الله ، ان الابجدية السامية لا تقوم سوى على الحروف الصامتة (consonnes) ، او ما نسميه حروفاً ، على وجه الاطلاق ؛ اي انها خالية من الحروف الصائتة او الحركات . وقد سبق التبيان ان الحركات السامية الاصلية ليست الا ثلاثاً وهي الضم ، والفتح ، والكسر . على ان في هذه الطائفة من اللغات ، كما هو الشان في اللغات عامة ، يوجد حركات مدغمة (diphtongues) وهي ما تركب من الفتح والواو ، والفتح والياء ، كقولك ، في العربية ، « لَوْ ، كَيْ » غير انه بفعل سنّة طلب الخفة ، قد كسرت حدة هذه الحركة المدغمة ، فنتج عنها حركتان فرعيّتان ، وهما ما يدعى في الارمية « الزلام ، والرواح » وفي العبرية « شغول ، وخولم » وفي العربية « التفخيم ، والامالة » وفي الفرنجية يقابلهما حرف (o و ê)

واذ كانت قد اخذت المدغمات تُلفظ ، يتوالي الازمان ، كالمفردات ، اعتبرت الواو والياء ، في مثل هذه الحال ، لا كحرف هجائي ، او صامت (consonne) ، بل كعلامة كتابية ، او قل كحرف قائم مقام الحركة الناتجة من ادغام الحركتين المزدوجتين . وهذا كان الداعي الاولي لاستعمال بعض الحروف الابجدية كعلامات للحركات ، او وسائل للقراءة ؛ مما كان في امكان الناس ان يستخدموا غيره من العلامات ، غير الشبيهة بهذه ، دون تاثير في الكلام ، او في الكتابة ؛ كما صنعوا بعد ذلك ، عند استنباطهم النقط والحركات . واذ كان هذان الحرفان غير كافيين للدلالة ، كتابة ، على الحركات الطويلة ، عمد القومُ ، تدريجاً ، الى حرفين آخرين ، وهما « الف ، والهاء » . واما اختيار هذه الاحرف دون غيرها ، لتلك الغاية ، فذلك لما هي عليه من الليونة ، والابهام في الصوت ، مما جعلها قريبة من الحركات . على ان كلًّا من هذه الاحرف استُعمل لاشباع حركات متعددة . فالواو تُكتب للدلالة على الضم المشبع ، والتفخيم الطويل ، سواء كان ذلك في وسط الكلمة او في آخرها . والياء تُتخذ لكتابة الكسر المشبع ، والامالة الطويلة . أما الهاء ، فاذ كان

لفظها حلقياً ، وكان الحلقي ميالاً الى الفتح ، في كل اللغات السامية ، لتستعمل للفتح الطويل ، وللتفخيم المطلق ثم للتفخيم الناجم عن الفتح المشبع . وفضلاً عن هذا تدلّ الهاء ، احياناً ، على اشباع الامالة اما الالف ، فاذ كانت هي والهاء من مخرج واحد ، اي حلقية ، أستُعملتْ لما أستُعملت له الهاء عينها

وهذه الطريقة ، طريقة اتخاذ بعض الحروف الهجائية بمنزلة علامات الكتابة او امهات للقراءة ، فقد كانت اكثر شيوعاً عند السريان منها عند العبريين ، ودخلت بعدهم عند العرب . الّا ان استعمالها في الرقم المؤرخة حول صدر التاريخ الميلادي لهو اقل شيوعاً مما في المخطوطات السريانية . اما الكتابة التدمرية (القرن الاول للميلاد) فالحركات القصيرة لا تكاد تذكر فيها . وهذه الحروف المستعملة علامات وصلت الى تطوّرها الاخير في القرن الخامس ، وهو اقدم عهد تصل اليه المخطوطات . ومنذ ذاك القرن شرع القوم في اتخاذ النقط دون اهمال الحروف

فاذا عرفت هذا نقول : ان «التاء» كانت شائعة في العبرية كعلامة خاصة للتأنيث ، ويجدر بنا القول انها كانت العلامة الوحيدة . اما اليوم فنرى ، في هذه اللغة ، ان الاسماء المطلقة تؤنث بهاء . فما هذه الهاء ؟ وما هو مسوّغ استعمالها ؟ فعلى هذا نجيب انه ظهر لك ان هذه الحروف اللينة اي الالف ، والواو ، والياء ، والهاء ، اصلها حروف هجاء ، فاستعملت علامات للحركات . فالهاء اذن هاءان : هاء حرفٌ ، وهاء ليست بحرف . وللتمييز بينهما قد استعمل العبريون نقطة يضعونها في وسط الهاء تدل على كونها حرفاً صامتاً ، وتلفظ لفظها الطبيعي . وهذه النقطة تدعى في نحوهم «مَپيق» اي المُخرج لفظ الهاء . واما الهاء غير المنقطة فليست سوى علامة لاشباع الفتح . ولذا يجب ان تعلم ان الاسماء المطلقة في العبرية لم تكن الّا التاء علامة لمؤنثها . الّا انها قد تضاءل لفظها شيئاً فشيئاً ، كما رأينا ، فحذفت . واذ كانت الحركة السابقة لها فتحة مشبعة ، استعملت بعدها الهاء ، لا كحرف هجاء ، بل كعلامة كتابية . فمن هنا يظهر خطأ الراي القائل بان الهاء مع الفتحة المشبعة هي العلامة الاصلية المؤنث في العبرية ، وان التاء مع الفتحة السابقة صادرة عنها . ولك مثال على

ذهاب لفظ التاء النهائية في غير اللغات السامية كالفرنسية ، فانك ترى ذلك محققاً في الكلمات التالية : (candidat. mandat, contrat, apparat) واصلها من الالفاظ اللاتينية (candidatus, mandatum, contractum. apparatus)

اما الارمية ، فانا نجد فيها التاء علامة عامة للتأنيث ، الا في جزم التنكير ، فان الكلمة المؤنثة تنتهي فيه بالالف . بيد ان هذه الالف ، كالهاء العبرية المذكورة اعلاه ، ليست علامة التأنيث . لان العلامة الحقيقية للتأنيث ، وهي التاء ، قد حذفت ، كما حذفت التاء في العبرية . وما الالف هنا الا علامة لاشباع الحركة . وقد ظهر لك ذلك من المثال المورد آنفاً وهو «ملتا، ملّا» = كلمة

بقي علينا النظر فيما نجده في اللغة العربية ، مما دعاه النحاة ، قديماً وحديثاً ، «هاء التأنيث» فهل هذه الهاء هي حقيقةً هاء التأنيث ؟ رأينا من كلام سيبويه وابن مالك ، وابن عقيل ، ان العلامة الخاصة هي «التاء» وانها عند الوقف تُكتب بصورة الهاء ، في الالفاظ المفردة لا غير . والحقيقة انها تبقى تاء غير ملفوظة . واذ كانت التاء المربوطة ، قبل اختراع الاعجام شبيهة ، كتابةً ، بالهاء ، دعوها من باب المماثلة الصورية «هاء» لكنها ليست بشيء من الهاء . فلا يسوغ اذن ، من باب التدقيق ، ان تدعى «هاء التأنيث» اذ ليست في العربية كما في اللغات السامية جميعها «هاء التأنيث» . واذا كان الأمر كذلك ظهر ان الصواب في العربية في جانب البصريين ومن تابعهم ، خلافاً للكوفيين ، اي ان «التاء هي الاصل في التأنيث»

بعد هذا الذي سبق من مقدمات ، وتحقيقات ، ونتائج ، مستندة الى اصول «الألسنية السامية» يليق بنا ان نجيب على السؤال الذي عنونا به مقالنا وهو : «أتاء ام هاء ؟» فنقول : «تاء» ولا هاء ، علامة التأنيث الاصلية ، القديمة ، في الالسنة السامية قاطبة ، ومن ثم في اللغة السامية الام ، مصدر هذه اللغات الاخوات ، وبذلك نظن ان قد ثبت صدق كلامنا عن فضل «الالسنة السامية» وفوائدها الجمة العائدة على كل من هذه اللغات ، ولاسيما على العربية

وهنا ندع القارئ ان كان من اهل الاختصاص ، يحكم في الآراء التي وقف عليها في هذا البحث ، والسلام على من اتبع الهدى